



## دار الندوة

حيث تحولت قريش في اجتماعاتها الحاسمة إلى حمم من الغضب.. دار الندوة تحولت إلى بركان ثائر يريد رأس رسول الله ﷺ بأي ثمن، فقد أيقنت قريش بأنه لا محالة خارج إلى مدينة الإسلام الجديدة متلحقاً بأصحابه. فالوضع مخيف جداً، وقريش يخيفها مستقبليها المجهول إن انتصر عدوها، لذلك اجتمعت في يوم أسمته (يوم الزحمة) الذي تحدث عنه أحد الصحابة فقال: (لما اجتمعوا لذلك، واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة، ويتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ، غدوا في اليوم الذي اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى الزحمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بت<sup>(١)</sup> له، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفاً على بابها، قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمع بالذي اتعدتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى ألا يعدمكم منه رأي ونصح، قالوا: أجل، فادخل.

فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشرف قريش كلهم من كل قبيلة: من بني عبد شمس: شيبه وعتبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: طعيمة بن عدي، وجبير بن مطعم، والحارث بن عامر بن نوفل.

ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلفة.

ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام.

ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام.

ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج.

ومن بني جمح: أمية بن خلف. ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد كان، وما قد رأيتم، وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً. فتشاوروا.

(١) البت: هو الكساء الغليظ.

ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تریصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله: زهيراً، والنابعة، ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه منه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لو حبستموه كما تقولون لخرج أمره من وراء الباب الذي أغلقتموه دونه إلى أصحابه، فلاوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم هذا، ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره ثم تشاوروا.

فقال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلدنا، فإذا خرج فوالله ما نبالي إلى أين ذهب، ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وألقتنا كما كانت. قال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتبعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأكم بهم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأياً غير هذا.

فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلدأً، نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدون إليه، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فيقتلونه فنستريح، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، ورضوا منا بالعقل<sup>(١)</sup>. ففعلناه لهم. فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل. هذا الرأي لا رأي لكم غيره،

فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له<sup>(٢)</sup>.

(١) أي الدية.

(٢) حديث حسن بطرقه، رواه ابن إسحاق، ومن طريقه رواه الطبري ٢-٣٧٠ من عدة طرق، صرح فيها بالسماع. سمعه من الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا الطريق لا يفرح به لأن فيه الكلبي تالف، أما الطريق الثانية: الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس. والحسن هذا متروك، أما الطريق الثالثة فرجالها ثقات: حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبير عن ابن عباس، ومجاهد إمام تابعي ثقة معروف وعبد الله بن أبي نجيح ثقة، لكنه ربما دلس أي أنه قليل التدليس، وللحديث شواهد تجعله حسناً لا شك، فقد رواه عبد الرزاق عن قتادة (٢٨٩/٥) مرسلأً وهذا شاهد يكفي، كذلك له شواهد عند الواقدي عن علي وعائشة وسرافقة. والواقدي متروك.

ذلك ما أسفر عنه يوم الزحمة، أما بيت أبي بكر حيث تزحم الحكمة بالحماس بالتخطيط، فلم يكن أقل نشاطاً مما يحدث في دار الندوة، فالكتمان والصمت والعمل الدؤوب شعار للجميع.

تقول عائشة: (فجهزناهما أحث الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فريطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين)<sup>(١)</sup>، فتاتان من فتيات الإسلام يواجهن الموت ليل نهار.. يردن بذلك وجه الله، وينشرن أذرعهن طريقاً لمدينة الإسلام.. هاتان الفتاتان ليستا وحدهما من بين شباب الإسلام. كان هناك شاب عظيم طرح للموت جسداً باعه لله يفتدى به رسوله ﷺ ذلك هو:

### علي بن أبي طالب على فراش الموت

فعندما اتفق الطغاة على تحديد ليلة ينكسون فيها سيوفهم في ذلك الجسد الطاهر.. ثمانية سيوف، وربما أكثر تتلمض.. تريد أن تستحم بدمائه ﷺ.. تريد إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كان فوق كل حبة رمل سيف لأعدائه.

أرسل الجبار سبحانه وحيأً يحمله جبريل (فأتى جبريل رسول الله ﷺ، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، فلما كان العتمة من الليل اجتمعوا على بابه، فترصدوه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي، واتشح<sup>(٢)</sup> ببردي الحضرمي الأخضر، فتم فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم؛ وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام)<sup>(٣)</sup>، فامتثل الشاب لأمر سيده ﷺ، واتشح بالبرد، وكان على استعداد ليتشح بالدماء، فقد علمه الإسلام كيف يبذل روحه لله وحده.. علمه كيف يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه. وخرج رسول الله ﷺ متسللاً، وبعد خروجه (جاء أبو بكر وعلي نائم، وأبو بكر يحسب أنه نبي الله، فقال: يا نبي الله. فقال علي: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه.

(١) حديث صحيح، رواه البخاري، وقد مر معنا أوله. ومعنى أحث الجهاز أي أسرعه، والجراب وعاء يوضع فيه الطعام والنطاق هو الحزام.

(٢) أي تغط.

(٣) جزء من حديث طويل مر معنا وهو عن اجتماع دار الندوة وهو حسن بالشواهد.

فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، وجعل علي يُرَمَى بالحجارة كما كان يُرَمَى  
نبي الله ﷺ وهو يتضور<sup>(١)</sup>، قد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح، ثم كشف  
رأسه، فقالوا: إنك للثيم، كان صاحبك نرميه فلا يتضور، وأنت تتضور، وقد استكرنا  
ذلك<sup>(٢)</sup>.

إذاً حدث تغيير بسيط في خطة الهروب، فبعد أن علم ﷺ بالمؤامرة لم ينم على  
فراشه، بل تسلل ﷺ بعد تخطيط محكم وخدعة بارعة انطلقت على جميع الأغبياء  
والأذكىاء منهم.. على كل سيف صلت قد سل خلف بابه، ولم تكتشف أكداس الكفر  
خلف الجدار ما حل بهم، إلا بعد أن تنفس الصبح في وجوههم.. يوقظهم ليسخر  
منهم. علي بن أبي طالب كان فتى يعدل أمة، ويخدع طواغيتاً قد ركمهم الحقد  
وحنطهم الغل حول الباب، بينما كان رسول الله ﷺ يأخذ بيد صاحبه أبي بكر عند بئر  
ميمون، ويواصلان المسير على عجل.. يدفعان الجبال عنهما دفعا. بالتأكيد لم يكونا  
في نزهة خارج مكة.. لقد كانا مسرعين يقصدان جبلاً عيَّناه وحدداه، ورسماه ضمن  
خارطة الهجرة وخطة الهروب، وهما الآن يعجان إليه.

لكن أبا بكر الصديق لم يكن على عادته.. كان مرتبكاً.. طريقة سيره توحى بذلك،  
فهو يحمل روحه في إحدى يديه، ويحمل باليد الأخرى خمسة آلاف درهم هي كل ما  
يملكه من مال، لكن حركته واضطرابه لا توحى بأنه خائف على روحه، ولا على ثروته  
فمِم كان يتوجس؟

## ماذا دهاك يا أبا بكر

أندرون ماذا كان يفعل (يكون أمام النبي ﷺ مرة، وخلفه مرة، فسأله النبي ﷺ  
عن ذلك فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى<sup>(٣)</sup> من أمامك، وإذا كنت أمامك خشيت

(١) يتلوى.

(٢) سنده جيد، رواه أحمد ١-٣٢٠ من طريقين، عن أبي عوانة، حدثنا أبو بلج، حدثنا عمرو بن ميمون عن  
ابن عباس. أبو عوانة اسمه: وضاح بن عبد الله الشكري، ثقة ثبت. التقريب ٥٨٠ وشيخه يحيى بن سليم  
حديثه حسن إذا لم يخالف، أما عمرو بن ميمون أبو عبد الله الأودي، فهو مخضرم مشهور وثقة عابد.  
التقريب ٤٢٧.

(٣) أي تهاجم وتصاب.

أن تؤتى من خلفك<sup>(١)</sup> واستمر أبو بكر في تصرفه حتى عندما لامست أقدامه صخور الجبل.. وعند الصعود فعل ذلك (حتى انتهى إلى الغار من ثور).

عندها فعل أبو بكر ما لا يفعله غيره (قال أبو بكر: كما أنت<sup>(٢)</sup>). حتى أدخل يدي فأحسه وأقصه فإذا كانت فيه دابة أصابتي قبلك<sup>(٣)</sup>.

كان أبو بكر طيفاً من الحنان.. سحابة حب تظل رسول الله ﷺ.. كأنني به يود لو صنع من جسده درعاً يحمي به رسول الله ﷺ حتى يصل إلى أحبابه المنتظرين في حرة المدينة، وبين نخيلها، فلا عجب أبداً بعد هذا أن يحمر وجه عمر بن الخطاب غضباً على رجال فضلوه على أبي بكر.. لقد كان يعرف من هو أبو بكر، فقد (ذكر رجال على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر، فبلغ ذلك عمر، فقال رضي الله عنه: والله ليليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من عمر. لقد خرج رسول الله ﷺ ليلية انطلق إلى الغار، ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه، وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر ما لك تمشي ساعة خلفي، وساعة بين يدي؟» فقال: يا رسول الله أذكر الطلب<sup>(٤)</sup> فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد<sup>(٥)</sup> فأمشي بين يديك. فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟» قال رضي الله عنه: نعم. والذي بعثك بالحق.

فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ، فدخل فاستبرأ ثم قال: انزل يا رسول الله. فنزل ثم قال عمر رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر<sup>(٦)</sup>.

(١) حديث حسن بالشواهد: رواه البغوي (سيرة ابن كثير ٢/٢٢٧) وابن هشام، حدثنا داود الضبي، حدثنا نافع بن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة. داود الضبي ثقة التقريب ١٩٩ ونافع ثقة ثبت التقريب، وابن أبي مليكة تابعي ثقة أدرك ثلاثين صحابياً وأسمه عبد الله بن عبيد الله، إذا فالنص مرسل، لكن يشهد له حديث عمر، وسند آخر جاء عن عمر. في دلائل البيهقي (٢/٤٧٧) وسنده مرسل عن الحسن رواه ابن هشام فالحديث حسن.

(٢) أي قف مكانك.

(٣) هو جزء من الحديث السابق.

(٤) من يسرون خلفه طلباً لدمه.

(٥) أي من يترصدون له في طريقه.

(٦) إسناده صحيح لولا الانقطاع، رواه البيهقي (٢/٤٧٦) أخبرنا موسى بن الحسن بن عباد، حدثنا عفان بن مسلم حدثنا السري بن يحيى، حدثنا محمد بن سيرين. وهؤلاء ثقات لكن الإمام ابن سيرين لم يدرك عمر، افلحديث حسن بما قبله، وبأحاديث ستأتي إن شاء الله.

ذاك جسد لأبي بكر باعه لله، وتلك دماء تشخب منه تتقش على جدران الغار حب الله وحب رسوله ﷺ: (لقد كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في الغار، فأصاب يده حجر، فقال:

إن أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت)<sup>(١)</sup>

ذاك جسد أبي بكر، أما مال أبي بكر.. كل ماله، فمنتشر بين يدي رسول الله ﷺ في الغار.. حمله كله، وقدمه لرسول الله ﷺ كله، حتى صار بيت أبي بكر في مكة خالياً إلا من الإيمان، وفتيات رباهن الإسلام وأبو بكر.

هذه إحداهن.. الشابة المجاهدة العظيمة، التي هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، ثم عادت لتواصل جهادها.. لم يمنعها ثقل حملها بابنها البكر من المساهمة في أعظم رحلة غيرت وجه الأرض والعالم.. ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر تقول: (لما خرج رسول الله ﷺ، وخرج معه أبو بكر، احتمل أبو بكر ماله كله ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف -فانطلق بها معه، فدخل علينا جدي: أبو قحافة<sup>(٢)</sup>- وقد ذهب بصره - فقال: والله إنني لأراه قد فجعكم<sup>(٣)</sup> بماله مع نفسه. قلت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة<sup>(٤)</sup> في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، فوضع يده عليه، فقال: لا بأس إذا كان يترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا إبلاغ لكم، قالت أسماء رضي الله عنها: ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكن أردت أن أسكن هذا الشيخ بذلك)<sup>(٥)</sup>.

إنهن بنات أبي بكر.. والدهن شريد طريد، مختبئ فوق أحد الجبال.. مختبئ بدينه ونبيه ﷺ، وهذه هي أحوال الدعاة بين مهاجر بعيد عن الأهل والمال، وأسير تفتك به أظافر قريش، ومطارد لا يدري ما تطوى له التلال والدروب. أما قريش ف:

(١) سنده صحيح رواه ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، أن أباه عباد حدثه عن جدته أسماء. ويحيى وعباد ثقتان التهذيب ١١-٢٣٤ و٥-٩٨ وابن إسحاق لم يدلس .

(٢) اسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب التيمي، مات ابنه أبو بكر قبله وقد أسلم.

(٣) ألمكم وأذاكم، أي أنه لم يترك لكم لا نفسه ولا ماله.

(٤) الكوة: الخرق في الجدار.

(٥) سنده صحيح، رواه ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عن جدته أسماء. يحيى وعباد ثقتان التهذيب ١١-٢٣٤ و٥-٩٨ وابن إسحاق لم يدلس .

## قريش غاضبة

تفجرت كالشظايا في كل مكان.. بين الأودية والشعاب.. بين الجبال والدروب..  
تقلب الصخور، وتفتح الأبواب وتهز أغصان الأشجار، وتسأل المسافرين وتستجوب  
الرعاة.. تتمنى لو تسأل الريح وحيات الرمال.. تبحث عنك يا رسول الله.. تتمنى لو  
وقعت في قبضتها ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ  
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ (١).

يقول أحد الصحابة: (تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه  
بالوثاق - يريدون النبي ﷺ - وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه.

فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فبات عليّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج  
النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً - يحسبونه النبي ﷺ، فلما  
أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري.  
فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار، فرأوا على  
بابه نسيج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه) (٢).

وعن غضب قريش يحدثنا حفيد أبي بكر فيقول: (إن مشركي قريش أجمعوا  
أمرهم ومكرهم حين ظنوا أن رسول الله ﷺ خارج، وعلموا أن الله قد جعل له بالمدينة  
مأوى ومنعة، وبلغهم إسلام الأنصار ومن خرج إليهم من المهاجرين، فأجمعوا أمرهم  
على أن يأخذوا رسول الله ﷺ فيما أن يقتلوه، وإما أن يسجنوه، وإما أن يخرجوه،  
وإما أن يوثقوه، فأخبره الله عز وجل بمكرهم فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ (٣).

وبلغه ذلك اليوم الذي أتى فيه رسول الله ﷺ دار أبي بكر أنهم مبيتوه إذا أمسى  
على فراشه، وخرج من تحت الليل هو وأبو بكر قبل الغار بثور، وهو الغار الذي ذكره

(١) سورة الأنفال.

(٢) رواه أحمد (١-٣٤٨): حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، أخبرني عثمان الجزري، أن مقسماً مولى ابن عباس  
أخبره عن ابن عباس: قال ابن كثير: هذا إسناد حسن، وليس كما قال رحمه الله: ففي الإسناد: عثمان  
الجزري، وحديثه حسن بالشواهد فيحتاج إلى شاهد.. وهذا الشاهد جاء عن الحسن البصري مرسلًا ذكره  
ابن كثير في سيرته (٢/٢٣٩)، أما ذكر الحمامتين اللتين باضتا على فم الغار فلم أعثر له على سند قوي.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

الله عز وجل في القرآن، وعمد علي بن أبي طالب فرقد على فراشه، يوارى عنه العيون<sup>(١)</sup>. وقد وصل المشركون ورسول الله ﷺ نائم على فراشه، وكانوا ينتظرون خروجه، وللتأكد كانوا يرمونه بالحجارة فلا يتحرك، ثم أمر ﷺ علياً أن يرقد في فراشه فكانت هذه القصة التي يرويها ابن عم رسول الله ﷺ وابن عم علي رضي الله عنهم حيث يقول: (شرى عليٌ نفسه، وليس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه، وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ وقد كان رسول الله ﷺ ألبسه بردة، وكانت قريش، تريد أن تقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعلوا يرمون علياً ويرونه النبي ﷺ وقد لبس برده، وجعل علي رضي الله عنه يتضور، فنظروا- فإذا هو علي فقالوا: إنك للئيم، إنك لتتضور وكان صاحبك لا يتضور، ولقد استكرناه منك)<sup>(٢)</sup>.

(فسألوه عن النبي ﷺ، فأخبرهم أنه لا علم له به، فعملوا عند ذلك أنه خرج، فركبوا في كل وجه يطلبونه، وبعثوا إلى أهل المياه يأمرؤنهم، ويُجعلون لهم الجُعل العظيم<sup>(٣)</sup>. وأتوا على ثور الذي فيه الغار، الذي فيه رسول الله ﷺ، وأبو بكر، حتى طلعا فوقه، وسمع النبي ﷺ أصواتهم، فأشفق<sup>(٤)</sup> أبو بكر عند ذلك، أقبل على الهم والخوف، فعند ذلك قال له النبي ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا». ودعا، فنزلت عليه سكينه من الله عز وجل: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ جُنُودٌ لَمْ تَرَوهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

إذاً فقد حامت الأقدام حول فم الغار.. لحظات تحبس الأنفاس وتتقلب فيها القلوب والأبصار، ويهجم الخوف والرعب من شقوق الغار.. من سيوف الطغاة، ومن العيون التي تتطاير إجراماً وشرراً لكن:

(١) إسناد مرسل ويشهد له ما سبق، ويرفعه إلى درجة الحسن. انظر دلائل النبوة للبيهقي (٢-٤٦٥)، وانظر كذلك مغازي عروة للعلامة الأعظمي (١٢٨).

(٢) سنده حسن. رواه الحاكم ٣-٤ والطيايوسي وأحمد (١١٨/٢٢) عن أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس. أبو عوانة: الوضاح وهو ثقة ثبت التقريب ٢٩٠ وشيخه حسن الحديث فهو صدوق ربما أخطأ وهو تابعي صغير مر معنا، وابن ميمون فهو ثقة مخضرم مشهور، وقد مر معنا قبل قليل.

(٣) أي جائزة عظيمة مقابل ذلك.

(٤) أي خاف، ومعروف خوف أبي بكر وأنه على رسول الله ﷺ أولاً وأخيراً كما مر معنا.

(٥) سورة التوبة. وما بعده وما قبله يقويه لأنه مرسل عروة عند البيهقي ٢-٤٧٨.

## الله ثالثهما

يصف الصديق تلك اللحظات الحاسمة، ويحدث الجميع بما جرى من حوار هامس بينه وبين حبيبه ﷺ فيقول: (نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه. فقال ﷺ: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»<sup>(١)</sup>).

إذا كان الأمر كذلك، فوالله لو سار مع قريش كل الأحياء، وتشققت المقابر فخرج الأموات.. يسحبون أكفانهم خلف أبي جهل.. يقلبون معه حجارة الأرض، ويجتثون أشجارها، ويزحزون جبالها ما قدروا على اثنين الله ثالثهما، فكيف تقدر قريش.. هذا أمر لن يحدث أبداً ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وانحدرت قريش من ذلك الجبل تلهث وتلهث، وتتصبب عرقاً وهزيمة.. تدرجت أمامها كبرياؤها وغطرسستها، وأعلنت لمن حولها عن هزيمة قاسية تلقفتها من محمد ﷺ، وأعلنت عجزها وضعفها، فبدأت بالاستتجد وطلب العون من أي شخص كان، عله ينجح في القبض على محمد ﷺ فهو:

## مطلوب حياً أو ميتاً

وقد فتحت قريش صناديق الحلال والحرام، وعرضت الهدايا والهبات أمام الجميع.. تقدمها لمن يحضر رسول الله حياً، أو يسحبه ميتاً، أو يحمل رأسه ورأس صاحبه إليها.

أحد الذين سمعوا بالجائزة.. أحد الذين فركوا أيديهم طمعاً فيها رجل اسمه: سراقبة بن مالك.. يحدثنا فيقول: (جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية، كل واحد منهما، من قتله أو أسره)<sup>(٣)</sup>.

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ١٧١٢-٤ ومسلم ١٨٥٤-٤ واللفظ له.

(٢) سورة التوبة: الآية ٤٠.

(٣) جزء من حديث صحيح طويل سيمر معنا. رواه البخاري.

إذاً قريش قد استتفرت رجالاتها وأموالها، وتوجهت إلى كل العرب ضد رسول الله ﷺ تستحثهم وتغريهم، لكن رسول الله ﷺ كان أذكى من الجميع، وقد أعد خطة محكمة لتذهب ضربات قريش في الهواء.. خطة تجعلها لا تجني من ركضها سوى الغبار والعرق، أما تنفيذ هذه الخطة فقد بدأ حالما انحدرت قريش من جبل ثور، فرسول الله ﷺ لم ينحدر بعدها. لقد قرر أن يمكث هو وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام.. هذه الأيام الثلاثة ستكون محمومة بالبحث والتفتيش، وهي كفيلة بالفئ من عزيمة الكفار، وتسريب الإحباط إلى نفوسهم. لكن كيف سيعرف رسول الله ﷺ وصاحبه ما يجري؟

كان الجواب شاباً من أبناء أبي بكر الصديق أيضاً.. ملأه الإيمان حياً وحماساً وبذلاً.. اسمه: عبد الله بن أبي بكر.. يعيش مع قريش في وضح النهار.. يخالطهم.. يكلمهم.. يسمع منهم.. يلتقط أخبارهم ومشاريعهم، ثم يحملها إذا جن المساء، فيصعد بها الجبل. وفي الغار تكون أخبار قريش ومخططاتها وخرائطها بين يدي رسول الله ﷺ وصاحبه، وقبيل طلوع الشمس عند الفجر، وبعد أن يؤدي الصلاة مع رسول الله ﷺ ينحدر إلى مكة ثانية، ليقوم بمهمته من جديد. وعبد الله لم يكلف في هذه المرحلة إلا بمهمة واحدة.. هي حمل الأخبار فقط، حتى لا يثير شك من يصادفه في طريقه.

أما الطعام، فقد كلف به شاب تربي في بيت أبي بكر أيضاً.. إنه أحد رعاة الغنم، واسمه: عامر بن فهيرة.. كان يسوق غنماته ويسيح معها في نزهة خارج مكة، وهذا أمر طبيعي لا يلفت الانتباه أبداً، فهو راعي غنم ومهمته تقتضي أن يكون خارج المدينة، فكان يحمل الزاد إليهما بعد العشاء، ثم ينصرف عنهما قبل طلوع الشمس أيضاً.

تقول عائشة رضي الله عنها: (فَكَمْنَا<sup>(١)</sup> فيه ثلاث ليال، وبييت عندهما عبد الله بن أبي بكر - وهو غلام شاب، ثقف<sup>(٢)</sup>، لقن<sup>(٣)</sup> - فيدلج<sup>(٤)</sup> من عندهما بسحر<sup>(٥)</sup>)، فيصبح مع قريش بمكة كبائت<sup>(٦)</sup>)، فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك

(١) اختفيا في الغار.

(٢) حاذقاً: خفيفاً.

(٣) ذكي.

(٤) الإدلاج: هو السير أول الليل، والمراد هنا إنه يسير من عندهما وقت السحر.

(٥) السحر: هو قبيل الصبح.

(٦) أي كأنه نائم في مكة.

حين يختلط الظلام. ويرعى عليهما عامر بن فهيرة - مولى أبي بكر - منحة<sup>(١)</sup> من غنم، فيريحها<sup>(٢)</sup> عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل - وهو لبن منحتهما ورضيفهما<sup>(٣)</sup> - حتى ينشق<sup>(٤)</sup> عامر بن فهيرة بغلس<sup>(٥)</sup>، يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث<sup>(٦)</sup>.

إذاً هناك بطلان: أحدهما يكشف تفكير العدو، والآخر يحمل الطعام. لكن هل سيدوم الحال على هذا الوضع؟ لقد اشترى أبو بكر راحلتين فأين هما؟ عند عبد الله، أم بين أغنام عامر بن فهيرة؟ وكيف سيحصلان عليهما وعيون قريش تدور.. تتلصص في كل مكان؟

لم تكن الإجابة صعبة على رسول الله ﷺ، فقد أعد لذلك خطة محكمة.. هذه الخطة تقضي بالأول تكون الراحلتان عند عبد الله بن أبي بكر، ولا عند عامر بن فهيرة، فلو كانتا عند أحدهما لارتبات قريش وزرعت شكها عيناً تلاحقهما حتى تظفر بما تريد، ورسول الله ﷺ يدرك ذلك كله، ويدرك ما هو أبعد من ذلك، لذلك استخدم كل الوسائل المتاحة في أرجاء الكون الفسيح له، فاسند لهذه المهمة رجلاً مشركاً، لكنه كان أميناً، واعدته الليلة الثالثة كي يحضر الراحلتين، وكان هذا الرجل من أعلم الناس بطبيعة الطريق ومسالكه.. يعرف كيف يتسلل بهما بعيداً عن حوافر الشرك ورماحه.

تقول عائشة: (واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل - وهو من بني عبد بن عدي - هادياً خريئاً. والخريئ: الماهر بالهداية، قد غمس حلفاً في آل العاصي بن وائل السهمي - وهو على دين كفار قريش - فأمناه، فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور، بعد ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهما طريق السواحل)<sup>(٧)</sup>.

(١) عطية.

(٢) المراح: هو ما تأوى إليه الإبل والغنم بالليل.

(٣) اللبن الذي رضفت فيه الحجارة المحماة بالنار لينعقد ويثخن وتزول رخاوته.

(٤) النشق: صوت الراعي بغمه.

(٥) الغلس: ظلمة آخر الليل.

(٦) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٠٥).

(٧) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٠٥).

## على دروب السواحل

على دروب السواحل.. الفجر سار يناضل، والليل صار مخيفاً، والخوف كان الرواحل. فهذه الرحلة يحدد نجاحها قيام دولة للإسلام في يثرب، أو موت حلم ثم البدء من جديد، والبحث من جديد. يقول الصديق رضي الله عنه: (أدلجنا من مكة ليلاً، فأحيينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا<sup>(١)</sup>)، وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل نأوي إليه، فإذا صخرة، فانتهيت إليها، فإذا بقية ظل لها، فسويته، ثم فرشت لرسول الله ﷺ فروة، ثم قلت: اضطجع يا رسول الله فاضطجع، ثم ذهبت أنفض<sup>(٢)</sup> ما حولي هل أرى من الطلب أحداً؟ فإذا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة، يريد منها الذي نريد - يعني الظل- فسألته، فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش فسماه. فعرفته فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم.

فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، وأمرته أن ينفض ضرعها من التراب، ثم أمرته أن ينفض كفيه - فقال هكذا، فضرب إحدى كفيه على الأخرى - فحلب لي كثة<sup>(٣)</sup> من لبن، وقد رويت معي لرسول الله ﷺ أداة على فمها خرقة، فصببت على اللبن، حتى برد أسفله، فأتيت رسول الله ﷺ فوافقتة وقد استيقظ فقلت: أتشرب يا رسول الله؟ فشرب رسول الله ﷺ حتى رضيت ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله.

فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقبة بن مالك بن جعشم على فرس له. فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله. قال: لا تحزن إن الله معنا. فلما أن دنا منا، وكان بيننا وبينه قيد رمحين أو ثلاثة قلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله - وبكيت. فقال ﷺ: «ما يبكيك؟» فقلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن إنما أبكي عليك.

فدعا عليه رسول الله ﷺ: فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها.

(١) وقت الظهر.

(٢) أتحمس وأحرس وأراقب المكان.

(٣) قليل.

فوئب عنها. ثم قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجني مما أنا فيه: فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهماً، فإنك ستتمر بإبلي وغنمي بمكان كذا.. وكذا.. فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لنا في إبلك وغنمك»، ودعا له رسول الله ﷺ، فانطلق راجعاً إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

من سراقه هذا، وما الذي أتى به خلف رسول الله ﷺ؟ وكيف عرف أنهم يسلكون طريق السواحل؟

## سراقة يتحدث

ويقص كيف علم بمسلك رسول الله ﷺ، بعدما أخبره رجل لمحهم يسيرون بقرب الساحل، وكان ذلك الحديث في مراتع بني مدلج (قوم سراقه) فيقول: (جاء رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر «دية» كل واحد منهما: من قتله أو أسره. فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي - بني مدلج - أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقه إني قد رأيت أنفاً أسودة بالساحل، أراها محمداً وأصحابه)<sup>(٢)</sup>.

## سراقة يبحث عن الدماء والدية

فحالما سمع حديث الرجل تهادت في مخيلته (مائة من الإبل)<sup>(٣)</sup> تدفعها قريش لمن ينثر على الساحل دم رسول الله ﷺ ودم صاحبه.. تخيل سراقه تلك الإبل المائة، وهي تسيل بين الأودية نحوه ليضمها ويلحقها بما يملكه من الأغنام والإبل المنتشرة في طريق المدينة. لذلك حاول إخراس ذلك المتكلم وتثبيط عزيمة السامعين من قومه حتى لا يلحقوا بالمهاجرين فيخسر الإبل الجائزة. لقد قال سراقه لذلك الرجل: (إنهم ليسوا بهم، ولكن رأيت فلاناً وفلاناً، انطلقوا بأعيننا، يبتغون ضالة لهم)<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٦١٥) والبيهقي (٤٨٣-٢) واللفظ له.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٠٦) مناقب الأنصار. أى رأيت أشخاصاً قرب الساحل.

(٣) جاء ذلك في حديث صحيح الإسناد عند البيهقي (٤٨٧/٢).

(٤) رواه البخاري (٣٩٠٦) مناقب الأنصار. أى ذهبوا يبحثون عن شيء ضاع لنا.

ويواصل سرقة حديثه فيقول: (ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت، فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة<sup>(١)</sup>)، فتحبسها علي، وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه<sup>(٢)</sup> الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي، فركبتها، فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم. فعثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزام<sup>(٣)</sup>)، فاستقسمت بها: أضرهم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزام، تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات. ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها، فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان<sup>(٤)</sup> ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية.. وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزاني<sup>(٥)</sup>)، ولم يسألاني، إلا أن قال: «أخف عنا» فسألته أن يكتب لي كتاب أمن. فأمر عامر بن فهيرة، فكتب في رقعة من أديم، ثم مضى رسول الله ﷺ<sup>(٦)</sup>) بعد أن أعطى الأمان لذلك الباحث الذي يريد قتله وحز رأسه. معجزة مخيفة ورائعة ما حدث لسرقة، كان يظن نفسه قادرا على بث الرعب في نفسيهما، فعاد يطلب منهما الأمان.

إذا فرسول الله ﷺ في حصن حصين، ولن تصل إليه أيدي المشركين، فلماذا يقول لسرقة: أخف عنا. لماذا يقولها وهو محاط بهذا الحشد من الخوارق، والجنود التي لا يعلمها إلا الله؟

(١) الأكمة: هي التل.

(٢) الزج: هو الحديدية التي في أسفل الرمح.

(٣) جمع الزلم، وكان أهل الجاهلية يستقسمون بالأزام، وكانوا يكتبون عليها الأمر أو النهي ويضعونها في وعاء، فإذا أراد أحدهم أمراً دخل يده فيه وأخرج سهماً، (أي زلماً)، فإذا خرج ما فيه الأمر استمر في عمله، وإن خرج العكس رجع عنه.

(٤) هو الدخان أو الغبار.

(٥) أي لم يأخذ منه شيئاً.

(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣٩٠٦).

إنه يقولها لأنه رسول جاء بمنهج من عند الله ملائماً للبشر، وعلى البشر مهمة نشره هنا وهناك، فبجهدهم ينتشر، وعلى البشر أن يركضوا هنا وهناك بحثاً عن الأسباب الموصلة للنجاح، ورسول الله ﷺ في هجرته يرسم خطأً لا يمكن أن ينتشر الإسلام إلا بالسير عليه، ألا وهو فعل الأسباب مع عدم التوكل عليها، بل التوكل على الله وحده.

لقد هاجر ﷺ بعد أن خطط ورسم، وتكتم وتلثم، وسار في الليل والناس نيام، ثم جعل نتائج كل ذلك إلى الله سبحانه، إنه لم يتحدث لأبي بكر قبل الهجرة عن معجزات ستحصل في الطريق، لأنه فعل الأسباب كما طلب منه، ثم فوض أمره إلى الله، إن الهجرة تطبيق عملي لقوله ﷺ: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)<sup>(١)</sup> فإذا أتقنه فقد انتهى دوره، وهذه طاقة البشر لا يكلفهم الله فوق طاقتهم. فإن قبض عليه المشركون وقبضوا على صاحبه، فقد أديا ما طلب منهما ولا شيء عليهما، وإن أكرمهم الله بمعجزة أو خارقة، فذلك فضل من الله. لكن المسلم يأثم إن لم يتقن عمله أملاً في حدوث معجزة أو كرامة تقلب الأوضاع، وعليه أن ينتظر النكسة في أية لحظة تطرق بابه. لقد استوعب رسول الله ﷺ وأصحابه المستضعفون هذه الحقيقة، فدعوا وأسروا واختفوا، ولاقوا ما لاقوا في سبيل ربهم، ولما أقفلت قريش أبواب مكة كلها في وجوههم.. تركوها لهم. غادروها وهي أحب البقاع إلى الله وإليهم. لقد وقف ﷺ يوماً (بالحزوراء في سوق مكة فقال: إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت وقال: علمت إنك خير أرض الله، وأحب أرض الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت)<sup>(٢)</sup>.

غادرها ﷺ بعد أن ضاقت به، وغادرها الصحابة نحو مدينة مفتحة الأذرع والأبواب.. للهاريين للإخلاص.. للحاملين سورة الإخلاص. غادروها إلى مدينة عطوف.. يحن فيها كل شيء.. حتى الجذع يحن إلى رسول الله ﷺ.. حتى الحجارة فيها بادلت الصحابة عشقاً. ألم يلتفت ﷺ إلى جبل أحد فيقول: (هذا جبل يحبنا ونحبه)<sup>(٣)</sup> إن الهجرة تراقق

(١) حديث حسن. انظر صحيح الجامع (١٤٤/٢).

(٢) إسناده صحيح. رواه البيهقي (٥١٨.١٧/٢) من طريق الزهري قال: أخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري سمع رسول الله ﷺ وهو واقف بالحزوراء في سوق مكة وهذا الإسناد صحيح وهو المحفوظ كما قال البيهقي.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري. ٤-١٤٩٨.

الشمس كل صباح.. تحيي الغرياء وتقول لهم: إذا أقتنتم أعمالكم تحولت مدن العالم إلى مدائن للحب والأنصار، وشغف الشجر والحجر بكم، كما شغف جبل أحد بأسلافكم.

واصل الرسول ﷺ وصاحبه المسير، وفي طريقهما شاهدا بعض الأغنام، وشاهدا بينهما الراعي، فطلبا منه السقيا؟

فقال: (ما عندي شاة تحلب، غير أن ههنا عناقاً حملت أول الشتاء، وقد أخرجت، وما بقي لها لبن، فقال ﷺ: «ادع بها». فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها، ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجن فحلب<sup>(١)</sup> وسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: بالله من أنت، فوالله ما رأيت مثلك قط؟

قال ﷺ: «أو تراك تكتم علي حتى أخبرك؟» قال: نعم. قال ﷺ: «فإني محمد رسول الله»، فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ. قال ﷺ: «إنهم ليقولون ذلك». قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وإنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي، وأنا متبعك، قال ﷺ: «إنك لن تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا»<sup>(٢)</sup>.

هذا الراعي المسكين نشأ في الصحراء حتى صار قطعة منها، تهتز ربيعاً وجمالاً عندما يغشاها المطر، وقد اهتز إيماناً عندما رأى المعجزات وحسن الأخلاق تجتاح مشاعره وتفتح عقله، ليفيق من سبات الإشاعات التي نشرتها قريش وأوصلتها إلى مسامعه. هذه الماعز التي لم يكن في ضرعها سوى الجفاف درت حليباً وأنزلت، أما هذا الرجل المطارد المتهم، الذي حلبها فلم يشرب رغم عطشه. لقد أسرت هذا الراعي أخلاق لم يعهدها، يحلب وهو نبي الله، ويسقي منهم دونه، ثم يشرب آخرهم، وهو الذي لو أراد لأدار الله له هذه الأرض ينتقي منها ما يشاء.

أسلم الراعي وآمن، وقرر ترك الصحراء والغنم ما دام بصحبة نبي، لكن خلق النبي ﷺ الكريم، وخوفه على أتباعه من الاضطهاد جعله يريثه إلى أجل لا يعلمه إلا الله، حتى يسمع بقيام دولة الإسلام.

فامتثل الراعي وصبر رغم شوقه ولهفه. امتثل هذا الراعي الذي أظنه:

(١) الذي حلب هو رسول الله ﷺ، ثم سقى الجميع ثم شرب آخرهم.  
(٢) إسناده صحيح. رواه البيهقي وأبو يعلى، وانظر تخريج الذي بعده فهو هو.

## أبو معبد

الذي صادفه ﷺ في طريق الهجرة، فإنه (لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر يستخفيان نزلاً بأبي معبد، فقال: والله ما لنا شاة، وإن شاءنا لحوامل، فما بقي لنا لبن، فقال رسول الله ﷺ: «فما تلك الشاة؟» فأتى بها. فدعى رسول الله ﷺ بالبركة عليها، ثم حلب عساً<sup>(١)</sup> فسقاه، ثم شربوا. فقال: أنت الذي يزعم قريش أنك صابئ؟ قال ﷺ: «إنهم ليقولون ذلك».

قال: أشهد أن ما جئت به حق. ثم قال: أتبعك؟ قال رسول الله ﷺ: «لا». حتى تسمع أنا قد ظهرنا<sup>(٢)</sup>.

وتجاوز رسول الله ﷺ غنمات أبي معبد، بعد أن ترك أبا معبد ظلاً.. تركه فيناً يستظل به المتعبون.. ربيعاً بعد أن كان حقلاً من الجفاف.. تركه مرشداً بعد أن كان يخبط في الظلام، وتحرك ﷺ لترحب به بعد مسافة ليست بالقصيرة:

## خيמתا أم معبد

(أم معبد الخزاعية، وكانت برزة جلدة<sup>(٣)</sup> تحثبي<sup>(٤)</sup> ببناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القوم مرملين<sup>(٥)</sup>، مستنتين<sup>(٦)</sup>، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة<sup>(٧)</sup>، فقال: ما هذا الشاة يا أم معبد؟

قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال ﷺ: «بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك. قال ﷺ: «أفتأذنين لي أن أحلبها؟» قالت: بأبي أنت وأمي، نعم. إن رأيت بها حلباً

(١) العس: هو القدح الكبير.

(٢) سنده صحيح. رواه البزار كشف الأستار ٣٠١/٢ وغيره عن عبيد الله بن إباد، حدثنا إباد، عن قيس. عبيد الله صدوق ووالده ثقة التقريب ٣٦٩ و١١٦ وقيس صحابي.

(٣) هي التي لا تحتجب كالشابات رغم عفافها، ومعنى جلدة أي قوية أو جزلة.

(٤) الاحتباء: هو الجلوس مع ضم الفخذين إلى البطن بواسطة الذراعين.

(٥) أي نفذ ما عندهم كأنهم لصقوا بالرمل.

(٦) أصابتهم سنة أي القحط.

(٧) أي جانب الخيمة.

فاحلبها . فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح ضرعها بيده، وسمى الله عز وجل، ودعا لها في شأنها، فتفاجت<sup>(١)</sup> عليه ودرت واجترت، فدعا بإناء يريض الرهط<sup>(٢)</sup>، فحلب فيها ثجاً<sup>(٣)</sup>، حتى علاه البهاء<sup>(٤)</sup>، ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم ﷺ ثم أراضوا<sup>(٥)</sup>، ثم حلب ثانياً بعد حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها وباعها، ثم ارتحلوا عنها<sup>(٦)</sup>.

### عودة أبي معبد

بعد رحيل هؤلاء الأطهار (ما لبثت إذ جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزاً عجافاً<sup>(٧)</sup>، يتساوكن هزلاً، مخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين هذا والشاة عازب حائل<sup>(٨)</sup>.. ولا حلوبة في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله: كذا.. وكذا. فقال: صفه لي يا أم معبد.

قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضوء.. أبلج<sup>(٩)</sup> الوجه، حسن الخلق لم تبعه ثجلة<sup>(١٠)</sup>، ولم تزر به صعلة<sup>(١١)</sup>، وسيم قسيم، في عينه دعج<sup>(١٢)</sup>، وفي أشفاره عطف<sup>(١٣)</sup>، وفي صوته سهل<sup>(١٤)</sup>، وفي عنقه سطح<sup>(١٥)</sup>، وفي لحيته كثائة<sup>(١٦)</sup>، أزج أقرن<sup>(١٧)</sup>. إن صمت فعليه الوقار

(١) أي فرجت ما بين رجليها للحلب.

(٢) يريض: أي يروي.

(٣) ثجاً: أي لبناً سائلاً كثيراً.

(٤) هو بريق رغوة الحليب.

(٥) أي شربوا عللاً بعد نهل أي الشرب الثاني.

(٦) انظر تخريجه في نهاية الخبر.

(٧) هزيلة.

(٨) أي لم تحمل.

(٩) مشرق الوجه مسفر.

(١٠) ضخامة البطن واسترخاؤه.

(١١) النحافة.

(١٢) اشتد سوادها وبياضها.

(١٣) الأشفار: طرف جن العين التي ينبت منها الشعر، أي إنها طويلة حتى انعطفت.

(١٤) وقيل: صحل أي أنه حاد الصوت.

(١٥) سطح: أي طال عنقه.

(١٦) اجتماع وكثرة.

(١٧) أي لا قليل ولا كثير.

وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه من قريب، حلو المنطق.. فصل لا نذر ولا هذر، كأنه منطقه خرزات نظم تحدرن، ربعة<sup>(١)</sup>.. لا بائن من طول، ولا تقتحمه عين من قصر<sup>(٢)</sup>، غصن بين غصنين، هو أنظر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به.. إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود<sup>(٣)</sup>، ولا عابس ولا معتد.

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره. ما ذكر بمكة «ولقد هممت بأن أصحبه» ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

فأصبح صوت بمكة عالياً يسمعون ولا يدرون من صاحبه:

جزى الله رب البيت خير جزائه	رفيقين قالوا خيمتي أم معبد
هما نزلها بالهدى واهتدت به	فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيال قصي ما زوى الله عنهم	به من فعال لا تجازى وسؤدد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم	ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شائها وإنائها	فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	عليه صريحاً صرة الشاة مزبد
فغادرها رهنأ لديها لحالب	يردها في مصدر ثم مورد

وأصبح صوت بالمدينة بين السماء والأرض يسمعون ولا يرون من يقوله<sup>(٤)</sup>.

(١) وسيط القامة.

(٢) أي لا تتجاوز العين إلى غيره احتقاراً.

(٣) مطاع في قومه يسرعون لخدمته.

(٤) رواه أبو نعيم في الدلائل - واللفظ له - (١-٣٣٧) والحاكم (٢-٩) والطبراني (مجمع الزوائد ٥٨/٦) وابن سعد (١/٢٢٠). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهو يعتبره صحيحاً لأسباب هي قوله: إن نزول المصطفى ﷺ بالخيمتين متواتر في أخبار صحيحة ذوات عدد، وإن الذين ساقوا الحديث على وجهه أهل الخيمتين من الأعراب الذين لا يهتمون بوضع الحديث والزيادة والنقصان، وقد أخذوه لفظاً =

سمع شاعر الحياة الجديدة حسان بن ثابت تلك الأبيات وهو في يثرب، فهاجت شاعريته، وأطلق الشعر يخطف ما لدى كفار قريش من فضائل ويحملها أنواراً نحو مدينة الإسلام الجديدة:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم      وقدس من يسرى إليه ويفتدي  
ترحل عن قوم فضلت عقولهم      وحل على قوم بنور مجدد  
هداهم به بعد الضلالة ربهم      فأرشدهم من يتبع الحق يرشد  
وهل يستوى ضلال قوم تسفوها      عمايتهم هاديه كل مهتدي  
وقد نزلت منه على أهل يثرب      ركاب هدى حلت عليهم بأسعد  
نبي يرى ما يرى الناس حوله      ويتلو كتاب الله في كل مسجد  
وإن قال في يوم مقالة غائب      فتصديقها في اليوم أو في الغد  
ليهن أبا بكر سعادة جده      بصحبته من يسعد الله يسعد  
ليهن بني كعب مقام فتاتهم      ومقعدهما للمؤمنين بمرصد

وبعد أن ودع ﷺ أم معبد أحت السير، وربما صادفه في مسيره آخرون، فكان يواجه كل شخص بأسلوب مناسب، فإن كان المار ممن يخشى منه تسرب الأخبار.. تكفل أبو بكر بالإجابة. ولذلك يقول أحد الصحابة: (أبو بكر شيخ يعرف، ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر، من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، فيحسب الحاسب إنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني

= بعد لفظ عن أبي معبد وأم معبد، ومنها أنه له أسانيد كالأخذ باليد أخذ الولد عن أبيه والأب عن جده لا إرسال ولا وهن في الرواة، ومنها إن الحربن الصباح النخعي أخذه عن أبي معبد كما أخذه ولده عنه، فأما الإسناد الذي روياه بسياقه: الحديث عن الكعبيين فإنه إسناد صحيح عال للعرب الأعرابية، وقد علونا في حديث الحربن الصباح هذا ما قاله الحاكم رحمه الله. لكن هناك ملاحظات على قوله رحمه الله منها: أن الحديث حسن لكن ليس بهذا النص لشدة ضعف طريقه... خاصة حديث الحربن الصباح ففي سنده متهم. ومنها: أن الشعر المذكور وأن قائله من الجن ضعيف ويحتاج إلى طرق أخرى تقويه. لكن القصة إجمالاً قوية برواية البيهقي والبزار اللتين ذكرهما ابن كثير في السيرة (٢/٢٥٨) وهي رواية مختصرة.

سبيل الخير<sup>(١)</sup> الذي يصل الدنيا بالآخرة، ويحطم الأبواب بينهما، فتشع أنوار الجنة في قلوب المؤمنين ودروبهم.. أينما حلوا أو ارتحلوا.

## محطات

مر ﷺ ورفقته بمحطات عديدة تذكرها عائشة جيداً فتقول رضي الله عنها وهي تتحدث عن زوجها وأبيها بعد أيام الغار: (هدأت عنهما الأصوات، وأتاها ما أن قد سكت عنهما، جاءهما صاحبهما ببعيرهما، فانطلقا وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما، يردفه أبو بكر ويعقبه على رحله، ليس معهما إلا عامر بن فهيرة وأخو بني عدي يهديهما الطريق:

فأجاز بهما «في أسفل مكة»، ثم مضى بهما حتى «حاذى بهما الساحل أسفل من عسفان» ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعدما جاوز «قديداً» ثم سلك «الخرار»، ثم أجاز على «ثنية المرة» ثم أخذ على طريق يقال لها «المدلجة بين طريق عمق وطريق الروحاء» ثم توافوا طريق «العرج» وسلك ماء يقال له «الغابر عن يمين ركوبة» حتى يطلع على بطن «رثم» ثم جاء حتى قدم المدينة على «بني عمرو بن عوف» قبل القائلة<sup>(٢)</sup>.

إذاً فنهاية تلك المحطات هي محطة بن عمرو بن عوف، لكن لماذا لم يذهب ﷺ إلى يثرب مباشرة.. لماذا مال إلى بلدة بني عمرو بن عوف المشهورة بـ (قباء). ما شعور الأنصار وهم ينتظرونه على مشارف يثرب، فتأتيتهم الأخبار أن نبيهم في قباء الآن.. أسئلة ملحة والإجابة عند نبي الله ﷺ الذي ودع مكة ولكن.

## النبي ﷺ يودع مكة

ودَّع حبيبته وهي لا ترد، ولو أجابت لأبكت من حولها.. ودع حبيبته.. تركها وهو كاره.. حالت الجاهلية بينه وبينها.. لم يستطع البقاء بين آيياتها وجدرانها، فحملها في

(١) حديث صحيح. وهو جزء من حديث طويل. رواه البخاري (٣٩١١).

(٢) سنده صحيح رواه ابن جرير ٢-٣٧٥: حدثنا علي بن نصر وحدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا أبان بن العطار، حدثنا هشام بن عروة عن عروة عن عائشة، وعلي وعبد الوارث ثقتان. وعبد الصمد صدوق ٢٥٦ وأبان ثقة ٨٧ وبقيّة السند معروف وقد توبع هشام ومن بعده عند الحاكم (٢-٨).

قلبه وارتحل، وتمر أيام وأعوام، ويكبر ذلك الحب، ويزداد به الشوق، فيقسم بالله لها أنه ما زال يحبها: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلي، ولولا أني أُخْرِجْتُ منك ما خرجت) (١). (ما أطيبك من بلدٍ وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك) (٢).

لم يستبدل ﷺ حباً بحب، بل أضاف حباً إلى حب.. وهو في طريقه الآن إلى يثرب.. يثرب! لا، إنها ليست يثرب، فلا يثرب بعد اليوم.. لقد وهبها قلبه، ووهبها اسماً جديداً.

## اسم جديد

فما ذلك الاسم؟ يقول ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب! وهي «المدينة» تنفي الناس (٣) كما ينفي الكير خبث الحديد» (٤).

إذاً فهي منذ الآن ستدعى: (المدينة).. المدينة المنورة بالحب والأشواق والعناق، أما أهلها، فعلى طريق مكة يترددون.. ينتظرون (يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة) (٥).. فرحوا بأصحابه واستقبلوهم، وفتحوا لهم بيوتهم وصدورهم (ولما سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ، وتوكفوا) (٦) قدمه، كانوا يخرجون إذا صلوا الصبح إلى الحرة ينتظرونه، حتى تغلبهم الشمس على الظلال ويؤذيهم حر الظهيرة، فإذا لم يجدوا ظلاً دخلوا، وذلك في أيام حارّة) (٧).

هذه هي المدينة المشتاقة وهؤلاء هم أهلها، أما رسول الله ﷺ، فقبل وصوله، وفي مسيره ذلك يلتقي بشاب يحبه.. يلتقي بشاب من أبطال الإسلام، إنه زوج (ذات النطاقين) زوج أسماء بنت أبي بكر الصديق واسمه: الزبير بن العوام، فهل كان قادماً

(١) حديث صحيح. رواه أحمد ٣-٢٠٥ وغيره من طرق عن الزهري أخبرنا أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عدي رضي الله عنه. أبو سلمة والزهري تابعيان ثقتان.

(٢) حديث صحيح رواه الترمذي وغيره. صحيح الجامع الصغير للإمام الألباني (٩٧١/٢).

(٣) أي تنفي الخبيث من الناس.

(٤) حديث صحيح. رواه البخاري (١٨٧١) ومسلم ٢-١٠٠٦ والبيهقي (٥١٩-٢).

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٦) أي توقعوه وسألوا عنه.

(٧) سنده قوي رواه ابن إسحاق (تاريخ الطبري ١-٥٧١) حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة عن رجال من الصحابة. ومحمد ثقة ٤٧١ وعبد الرحمن ولد على عهد النبي ﷺ وروايته عن الصحابة ويشهد له ما قبله.

من المدينة؟ لا. لقد كان في الشام.. سافر مع قافلة من قوافل الصيف ثم عاد، وفي طريق عودته (لقي رسول الله ﷺ في ركب من المسلمين، كانوا تجاراً بالشام قافلين إلى مكة، فعارضوا رسول الله ﷺ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاً<sup>(١)</sup>). قبل ﷺ الهدية من ابن عمته الزبير، ولبس وصاحبه الثياب، وأقبلا على المدينة.. يختلط بياض ثيابهم بياض السراب، لكن بعد أن أحرقت الشمس المنتظرين، فعادوا بعد انتظار طويل لبيوتهم.

أقبل رسول الله ﷺ وأبو بكر، فلم يرهما أحد من الأنصار.. لم يرهما أحد من المهاجرين، ولا حتى من المشركين عابدي الأوثان، لكن يهودياً رأهما.. كان فوق حصن قومه، واليهود أناس لا يعيشون إلا في حصون أو حارات مغلقة عليهم، وما زال جزء منهم كذلك إلى أيامنا هذه. ربما كانوا يعتقدون أنهم أبناء الله وأن بقية البشر لا يستحقون شرف الاتصال بهم. سندع اليهود وما يعتقدون لتتابع موقف ذلك اليهودي مما رأى وماذا فعل؟ وماذا جرى للأنصار بعد ذلك؟ وهل دخل ﷺ المدينة أم تريت أم؟

## ماذا حدث.. ماذا حدث

لم يتجه ﷺ إلى المدينة مباشرة.. هل خاف من يهود؟ هل كان خائفاً من شيء؟ لا، لكنه مال بخط سيره نحو مكان قريب من المدينة يسمى (قباة) ونزل على أناس من الأنصار يقال لهم (بنو عمرو بن عوف) وهذه هي القصة:

(سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطلوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم<sup>(٢)</sup> من أطامهم لأمر ينظر فيه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين<sup>(٣)</sup> يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب.. هذا جدكم<sup>(٤)</sup> الذي تنتظرون.

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٠٦).

(١) الأطم: هو الحصن.

(٢) أي عليهم الثياب البيض التي كساهم إياها الزبير.

(٣) أي حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه (السيرة الشامية ٣/٢٨٤).

فتار المسلمون إلى السلاح، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في «بني عمرو بن عوف» وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار - ممن لم ير رسول الله ﷺ - يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك<sup>(١)</sup>. أما الأنصار، فقد تحولوا إلى مشاعر تحمل رسول الله ﷺ.. ثقله تظله، وتوهج من حوله، أما قباء ف:

## كيف كانت قباء

كانت تتعم بمحمد ﷺ.. تحتضنه كأمه.. تفخر به على من حولها حتى انتشر الخبر وشاع فوصل إلى يهودي آخر فلم يصبر، لقد أطلق قدميه للريح والفرع.. يتجه بهما نحو ابن عم له كان يجلس بين نخل له فقال: (يا فلان، قاتل الله بني قيلة<sup>(٢)</sup>)، والله إنهم لمجتمعون الآن بقباء على رجلٍ قدم من مكة يزعمون أنه نبي<sup>(٣)</sup>..

لا أعرف ما حدث لليهودي، لكنني أعلم ما حدث لأحد عبيده.. كان عبده الكادح الحزين فوقه.. فوق نخلة في رأس عذق يعمل.. يتصبب منه العرق والفرع.. سمع الخبر فأخذته رعدة هزته وهزته حتى كاد يسقط من على العذق، لكنه تماسك حتى انحدر منها، وعندما لامست أقدامه الأرض توجه كالفرح نحو حامل الخبر فقال له: (ماذا تقول.. ماذا تقول<sup>(٤)</sup>) صمت اليهودي الذي حمل الخبر ولم يجبه. لكن سيده أجابه عن هذا السؤال إجابةً يهوديةً.. أجابه لكمةً شديدة ثم قال له: (ما لك ولهذا؟ أقبل على عمك<sup>(٥)</sup>). تجرع العبد المسكين الآلام والقهر، وأخرج من صدره اعتذار المساكين وقال: (لا شيء، إنما أردت أن أستبئنه عما قال<sup>(٦)</sup>)..

وعندما خيم الليل على مرابع بني عمرو بن عوف وقباء.. كان شبح ذلك العبد المسكين يتسلل كالظلام في الظلام، وبين طرقاتها المظلمة متخفياً خائفاً.. يتسلل حتى

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٢) قيلة: هو اسم الجدة الكبرى للأنصار.

(٣) حديث صحيح طويل سيمر معنا وهذه مقاطع منه.

(٤) حديث صحيح طويل سيمر معنا وهذه مقاطع منه.

(٥) حديث صحيح طويل سيمر معنا وهذه مقاطع منه.

(٦) حديث صحيح طويل سيمر معنا وهذه مقاطع منه.

ظفر بمجلس رسول الله ﷺ وأصحابه وأنصاره. كانت آثار العبودية والقيود والسفر والسنين تجلد وجهه وظهره، وتوشك أن ترتحل أو يرتحل.

دخل هذا الكادح على رسول الله ﷺ ثم قال: (إنه قد بلغني أنك رجلٌ صالح، ومعك أصحاب لك غريباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، فقربتته إليه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: كلوا. وأمسك<sup>(١)</sup> يده فلم يأكل.

فقلت في نفسي: هذه واحدة)<sup>(٢)</sup>.

ثم انصرف ذلك الرجل الغريب بعد أن حصل على واحدة! عاد من حيث أتى.. عاد إلى سيده اليهودي. ترى هل أرسله سيده، أم أنه ذهب من تلقاء نفسه؟ وما معنى قوله: هذه واحدة؟ ولماذا انصرف بهذه السرعة؟ لغز محير هذا المسكين القادم من العبودية والمجهول، ولعل الأيام تكشف لنا مزيداً من أسراره.

ذهب المسكين، وذهب الليل وراءه، ومرت أيام (فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعة عشرة ليلة، وأسس المسجد، وصلى فيه رسول الله ﷺ)<sup>(٣)</sup> وصلى فيه أصحابه، وبشر كل من يأتي إلى هذا المسجد ببشرى قالها فيما بعد: (صلاة في مسجد قباء كعمرة)<sup>(٤)</sup>.

وبقي ﷺ أربع عشرة ليلة في قباء بين قلوب أهلها الفسيحة، ولما تحرك قلبه نحو المدينة.. بعث رسولاً من أهل البادية إلى أخواله بني النجار يخبرهم بقدمه، فجاءوا متزينين بالفرح والسلاح.

يقول أحد الأنصار: (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة، في حي يقال لهم: «بنو عمرو بن عوف» فأقام فيهم «أربع عشرة ليلة» ثم أرسل إلى ملأ بني النجار، فجاءوا متقلدي سيوفهم وأبو بكر ردفه، وملأ بني النجار حوله)<sup>(٥)</sup>.

(١) أي كف يده ولم يأكل ﷺ لأنه لا يأكل من الصدقة.

(٢) جزء من حديث طويل صحيح سيمر معنا.

(٣) حديث حسن عدا المحذوف رواه البخاري (٣٩٠٦).

(٤) حديث صحيح رواه ابن ماجه ١-٤٥٣ من طريقين قويين عن أسيد وسهل.

(٥) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩٢٢) ومسلم.

ويقول رديفه على الناقة أبو بكر رضي الله عنه: (ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة ليلاً، فتنازعه القوم: أيهم ينزل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «إني أنزل الليلة على بني النجار، أخوال بني عبد المطلب أكرمهم بذلك»، وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطريق وعلى البيوت، والغلمان والخدم يقولون: جاء رسول الله ﷺ.. جاء محمد.. الله أكبر جاء محمد.. جاء رسول الله ﷺ، فلما أصبح انطلق حيث أمر<sup>(١)</sup> كانت أمسيةً صاخبةً بالهتاف للأضياف.. أمسية صاخبة فشمس محمد تجوب شوارع المدينة.. المدينة تعانق هذا النور المنساب من قباء.. المدينة كلها.. السلاح والرجال والنساء والأطفال... وللأطفال طريقتهم الخاصة في التعبير عن حبهم لمحمد ﷺ. أشرقت الشمس بعد أن نهض الجميع للصلاة.. أشرقت الشمس والأطفال بوجه محمد ﷺ حيث كان يتحرك نحو المكان الذي أمر به.. كان صباحاً منعشاً وجميلاً، وكان موكبه ﷺ يتهاذى بين القلوب والبيوت...

الأطفال يركضون.. يقفزون.. يهتفون، وتلك العيون البريئة تبحث خلف الزحام عن صاحب الناقة.. كان الأطفال لوحة من مطر وبراءة.

أنس بن مالك أحد أولئك الأطفال.. يصف فرحته وشففه وركضه معهم فيقول: (إني لأسعى في الغلمان يقولون: جاء محمد..

وأسعى ولا أرى شيئاً، ثم يقولون: جاء محمد..

فأسعى.. ولا أرى شيئاً.

حتى جاء النبي ﷺ وصاحبه، فكنا في بعض جدر المدينة، ثم بعثا رجلاً من أهل البادية ليؤذن بهما الأنصار. فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار، حتى انتهوا إليهما فقالوا: انطلقا آمنين مطاعين، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة، حتى إن العواتق<sup>(٢)</sup> لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو؟.. أيهم هو؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به يومئذ<sup>(٣)</sup>.

(١) حديث صحيح. رواه البخاري ومسلم والبيهقي (٥٠٦/٢).

(٢) أي الفتيات المراهقات.

(٣) سنده صحيح. رواه أحمد ٢٢٢-٣ حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس. هاشم يلقب بـ قيصر وهو ثقة التهذيب ١١-١٨ وسليمان ثقة، وثابت البناني تابعي ثقة. والحديث صححه الذهبي في سيرته ٢٣٢.

ويقول: (شهدت يوم دخل النبي ﷺ، فلم أر يوماً أحسن ولا أضوأ منه)<sup>(١)</sup>، وعبر أنس عن ذلك اليوم بحروف تنبض بالمشاعر فقال: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء)<sup>(٢)</sup>.

## مشاعر.. مشاعر

المدينة في تلك اللحظات كانت تتبختر بالمشاعر.. تتزين بالإسلام.. كانت مدينة منورة بلقاء الحبيب الذي طال الشوق إليه. أحقاً رسول الله ﷺ في المدينة.. يمشي في شوارعها وتصافحه قلوبها وأرواحها.. لحظات يتمنى كل مسلم أن يعيشها، وأن يسكب في حضرتها شيئاً من الدموع.

لقد كان الموكب يتحرك ببطء، فطريقه مزدحم بالقلوب والدموع، وابتسامات الأطفال والتفاتاتهم البريئة السعيدة. أبو بكر كان أسعد الناس وأحظى الناس بعد رسول الله ﷺ بهذا الحب والاحتفال.. يحدثنا فيقول: (ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة، وتلقاه الناس فخرجوا في الطرق وعلى الأناجير)<sup>(٣)</sup>، واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله.. جاء محمد)<sup>(٤)</sup>.

(جاء رسول الله.. جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد.. الله أكبر جاء محمد)<sup>(٥)</sup>.. أحد أطفال الأنصار المبتهجين يتحدث، واسمه البراء بن عازب يقول: (جاء رسول الله ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء قط فرحهم به، حتى رأيت الولاة)<sup>(٦)</sup> والصبيان يسعون في الطرق يقولون: جاء رسول الله)<sup>(٧)</sup>.

وعبر الصحابة القادمون من أرض النجاشي عن فرحهم بمحمد ﷺ بأسلوبهم المميز. أنس بن مالك ذلك الطفل السعيد.. طاف المدينة، وطاف حول الموكب، وشاهد

(١) سنده صحيح رواه البيهقي ٥٠٨-٢ وأحمد ٢-٢٤٠ من طريق حماد عن ثابت عن أنس.

(٢) حديث صحيح. انظر صحيح ابن ماجة (٢٧٣-١) للإمام الألباني.

(٣) السطوح.

(٤) حديث صحيح. متفق عليه ورواه أحمد ١-٢ واللفظ له.

(٥) جزء من رواية البخاري ومسلم.

(٦) أي البنات.

(٧) حديث صحيح رواه البخاري ٤-١٨٨٦.

فرح أهلها، ووصف فرح الصحابة من أهل الحبشة فقال: (لما قدم رسول الله ﷺ لعبت الحبشة بحرابهم فرحاً بقدمه)<sup>(١)</sup> ولم يكن الرقص هو الأسلوب الوحيد في التعبير.. كان هناك الغناء بمحمد ﷺ، وبجوار محمد.

الغناء والدفوف والمشاعر شاهدها ﷺ فماذا فعل؟ وماذا قال ﷺ لتلك الفتيات؟

أنس بن مالك أيضاً يحدثنا عن ذلك فيقول: (مر رسول الله ﷺ بحي من بني النجار وإذا جوارٍ يضربن بالدفوف «ويتغنين ويقلن»:  
نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال النبي ﷺ: «الله يعلم أن قلبي يحبكن»<sup>(٢)</sup> يا لهذا النبي ما أعظمه، وما أبسطه وأرق مشاعره التي يعلنها للصغير وللكبير.. في البيوت وعلى الطرقات، بل إنه يعلن حبه حتى على الجبال القاسية من حوله.. يمر ﷺ من عند جبل أحد بالمدينة فيقول: (هذا جبل يحبنا ونحبه)<sup>(٣)</sup> نبي الله يحب المدينة وأهلها، والمدينة وأهلها.. أشجارها وجبالها يحبون الله ورسوله.. الكرم يسيل، و الدماء تسيل فرحاً به ﷺ، هذا أحدهم يقول: (لما قدم ﷺ المدينة نحرْتُ جزوراً)<sup>(٤)</sup>.

(١) صحح إسناده الإمام الألباني في صحيح أبي داود ٣-٩٢٠) ورواه أحمد ٢-١٦١ من طريق عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس. ورجاله ثقات لكن فيه ضعفاً لأن رواية معمر عن ثابت ضعيفة كما قال ابن معين: إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهري وابن طاوس. وقال مرة: حديث معمر عن ثابت وعاصم وهشام وهذا الضرب مضطرب كثير الأوهام. فإن لم يكن لدى الشيخ ناصر طريق أخرى فهو ضعيف.

(٢) سنده صحيح. رواه البيهقي ٢-٥٠٨ وابن ماجة (الصحيح ١-٣٢٠) واللفظ للبيهقي عدا ما بين المعقوفتين فلا بن ماجة... وسنده: عيسى بن يونس، عن عوف الأعرابي، عن ثمامة عن أنس.. وعيسى ثقة. انظر التقريب ٤٤١ وعوف بن أبي جميلة ثقة أيضاً. التقريب ٤٣٣ وثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك تابعي ثقة روى عن جده.

(٣) حديث رواه البخاري (٢٨٨٩).

(٤) سنده صحيح. رواه أحمد (الفتح الرياني ٢٠/٢٩١) حدثنا وكيع، حدثنا شعبة عن محارب ابن دثار عن جابر... وهذا سند كالذهب كله أئمة ثقات لا يسأل عنهم وهو متصل.

ويواصل موكب الحب مسيره في شوارع المدينة وسط مهرجان من السعادة..  
زحاًمً من البهجة يحيط برسول الله ﷺ.. اشتد الزحام (فصعد الرجال والنساء فوق  
البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطرقات ينادون: يا محمد.. يا رسول الله، يا  
محمد.. يا رسول الله)<sup>(١)</sup>.

في المدينة كانت القلوب بيوتاً، وكانت البيوت قلوباً.. كانت الأيدي تمتد إلى الزمام،  
والعيون البراقة تحتضنه وتعانقه.. تحاول الارتواء منه، فتزداد عطشاً ولهفةً، وتواصل  
الركض والنداء حتى..

## توقفت الناقة

(فقال نبي الله ﷺ: «أي بيوت أهلنا أقرب؟»

فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله: هذه داري.. وهذا بابي.

فقال ﷺ: «أذهب فهياً لنا مقيلاً».

فذهب فهياً لهما مقيلاً، ثم جاء فقال: يا نبي الله، قد هيأت لكم مقيلاً.. قوما على  
بركة الله فقيلاً)<sup>(٢)</sup>. وحل ﷺ في دار أبي أيوب وقلب أبي أيوب.. الكل يغبطه.. المدينة  
كلها تغبطه.. تتمن الشرف الذي حل بين جدران منزله.. المدينة كلها إلا عيوناً كانت  
تتأمل من بعيد.. وقفت كما وقف عمر بن الخطاب وهو يرقب مشهد النازحين إلى أنهار  
الحبشة، لكن هذه العيون المتلصصة لم تكن حزينة كحزن عمر، ولا نادمة كندم عمر..  
إنها منغمسة في دبق الأحقاد الأسود.. من بين هذه القلوب قلب رجل اسمه:

## عبد الله بن أبي بن سلول

### من عبد الله هذا.. وما قصته..؟

كان بين الأوس والحروب حروب مريرة، وثارات أوشكت على إفنائهم، وكان بين  
تلك الحروب فترات من التعب، والهدنة والفتور.. تتطمر معها جمرة الحرب تحت رماد

(١) حديث صحيح. رواه مسلم (كتاب الزهد - حديث الهجرة).

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي واللفظ للبيهقي (٥٢٨/٢).

من التعقل أحياناً، والملل أحياناً، أو التحفز للانقضاض أحياناً أخرى. وكانت السنوات التي بايعوا فيها الرسول ﷺ سنوات من الركود.. كانت المدينة فيها ترقد على بركان هادئ من الثارات والدماء، وفي تلك السنوات تصالح الطرفان مبدئياً على تتويج رجل اسمه عبد الله بن أبي بن سلول، ليكون زعيماً ليثرب، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث. فرغم الاحتفاء بالهدنة وحقق الدماء، إلا أن المدينة كانت لا تتنفس ابن أبي سلول في هوائها، فهو مجرد هدنة هشية، لا أكثر. وقد سُموا الهدن الهشة.

لقد كانت أجواء المدينة مشبعة بالقادم.. مرطبة بالانتظار.. المدينة وثيؤها ويهودها يشعرون بغد هابط لا يحمل على جناحه رجلاً مؤقتاً كابن سلول، أما اليهود فكانوا ينتظرون نبياً يفنون به العرب والوثيين، ويخلصهم من هذا الشتات المخيف. تأثر بهم بعض الوثيين من أهل المدينة فكانوا ينتظرونه، ويريدون أن يسبقوا اليهود إليه حتى ولو اضطروا إلى مزاحمة اليهود في حصونهم، وكان من هؤلاء المنتظرين ثلاثة من بني هذل هم:

### أسد وأسيد وثلعبة

ثلاثة من الشباب ليسوا من اليهود، انصهروا مع اليهود ليفوزوا معهم بهذا النبي القادم كالصباح، ويحدثنا عنهم رجلٌ من يهود بني قريظة.. رجل عاش مع أسد وأسيد وثلعبة في حصون قريظة.. يحدثنا ويحدث رجلاً جالساً بقرية اسمه عاصم فيقول له: (هل تدري ما كان علامة إسلام ثلعبة بن سعنة، وأسيد بن سعنة، وأسد بن عبيد - نفرٌ من بني هذل ليسوا من بني قريظة ولا بني النضير؟ (كانوا فوق ذلك) نسبهم من بني هذل) أتوا بني قريظة، كانوا معهم في الجاهلية ثم كانوا سادتهم في الإسلام؟

قال عاصم: قلت: لا.

قال: فإن رجلاً من يهود أهل الشام يقال له: (ابن الهيبان)، قدم علينا قبل الإسلام بـ (سنتين) فحل بين أظهرنا، والله مارأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنا إذا قحط المطر قلنا له: يا ابن الهيبان قم فاستسق لنا، فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة. فيقولون: كم؟ فيقول: صاعاً تمرأ، (أو مدين من شعير) عن كل إنسان. فنخرجها، فيخرج بنا إلى ظاهر حرتنا، فيستسقي

لنا، فوالله ما يبرح من مجلسه حتى يمر السحاب السراح سائلة، ونسقى به، ففعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً، ثم حضرته الوفاة، فلما عرف أنه ميت قال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض الجوع والبؤس؟ قلنا: الله أعلم. قال: فإني قدمت إلى هذا البلد لتوكف خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلدة مهاجرة، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا يسبقنكم إليه يا معشر اليهود أحد<sup>(١)</sup>.

لكن الأنصار سبقوا اليهود فأسلموا، ودعوا رسول الله ﷺ إلى المدينة، واستقبلوه استقبالاً كالحلم، فانهارت أحلام عبد الله بن سلول بالزعامة، بعد أن أدرك أهل المدينة أن وحدتهم لن تدوم بزعامته، ولن تمتد تلك الزعامة في الأعماق والزمان إلا برسالة يخلع الجميع كل ما عليهم ليلبسوها، ففتحوا عنه، وامتدت الأيدي والقلوب إلى الله ورسوله. وكأني بابن سلول يتمنى لو لم يطل به العمر ليرى هذا الاحتفال الجميل، وموقف ابن سلول هذا موقف قاصر، فقد كان بإمكانه أن يصبح زعيماً وعظيماً وخالداً لو صافح رسول الله ﷺ، لكنه أبى وتولى. هذا هو ابن سلول فهل هناك من يشاركه هذا الشعور؟

أجل.. هناك اليهود الذين تركوا أرض الخمر والخمير من أجله، فهم ينتظرونه منذ سنوات وسنوات، لكن ما الذي حدث؟ كيف ينتظرونه، فإذا رأوه وتحققوا أنه هو رفضوه وعادوه؟

طفلة بريئة لم تلوثها أحقاد اليهود اسمها (صفية بنت حبي بن أخطب) تحدثنا عن موقفهم وسبب عداوتهم، فوالدها زعيم من زعماء يهود، وعمها أيضاً زعيم، أما هي فكانت أحب أولادهم على الإطلاق.. يهشون للقائتها.. يبشون في وجهها ويبتسمون، إلا في ذلك اليوم.. ذلك اليوم الذي تذكره صفية جيداً فتقول: (لم يكن من ولد أبي وعمي أحد أحب إليهما مني.. لم ألقهما قط مع ولد لهما أهش إليهما إلا أخذاني دونه.

فلما قدم رسول الله ﷺ قباء، ونزل قرية بني عمرو بن عوف، غدا إليه أبي وعمي «أبو ياسر بن أخطب» مغلسين، فوالله ما جاءنا إلا مع مغيب الشمس، فجاءنا فاترين

(١) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٨٠/٢) وأبو نعيم في الدلائل (٨١/١) واللفظ له عدا ما بين المعوقين. حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة، عن شيخ من بني قريظة. عاصم تابعي ثقة وعالم جليل.. التقريب ٢٨٦ وشيخه صحابي من بني قريظة.

كسلانين ساقطين، يمشيان الهويني<sup>(١)</sup>، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إليّ واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم. والله. قال: تعرفه بعينه وصفته؟ فقال: نعم والله. قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت<sup>(٢)</sup>.

ولكن لماذا هذه العداوة.. لماذا هذا الفتور والإحباط؟

إنها العنصرية، فهذا الرجلان يمثلان خطأً يسلكه معظم اليهود.. اليهود المغضوب عليهم، وقد غضب الله عليهم لأنهم يعرفون الحق وينكرونه. جاءهم عيسى فأنكروه، بل حاولوا قتله، وها هو محمد ﷺ بين أيديهم.. يعرفونه كما يعرفون أبناءهم لكنهم يرفضونه، لأن محمداً عربي وليس من أبناء قبيلة (إسرائيل).. إذا فهو مرفوض، وكما رفض حيي بن أخطب وأخوه الدخول في الإسلام، فقد عاند وكابر يهودي آخر مثلها.. تتصل من كل وعوده السابقة لليهود ولأهل المدينة، فما هي وعوده السابقة؟ وكيف تتصل منها؟

تلك قصة حضرها طفل آخر مضطجع بفناء أهله، حفظها لنا ثم قصها علينا بعد قدوم رسول الله ﷺ للمدينة.

## يوشع يرفض الإسلام

اسم هذا الطفل (سلمة بن سلام بن وقش) وهو يقول: (كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل.. فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل -وأنا يومئذ أحدث من فيه سنناً عليّ فروة لي مضطجع فيها بفناء أهلي<sup>(٣)</sup> - فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار.. فقال ذلك لقوم أهل شرك، أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت، فقالوا له: ويحك يا فلان.. أو ترى هذا كائناً، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟

(١) مشي فيه فتور وضعف.

(٢) في سنده ضعف، رواه ابن إسحاق ومن طريقه أبو نعيم والبيهقي (٢-٥٢٣) وفي سنده جهالة شيخ شيخ ابن إسحاق عبد الله بن أبي بكر وقد ورد اسم هذا الشيخ عند أبي نعيم وهو جد عبد الله بن أبي بكر... واسمه محمد بن عمرو بن حزم وله رؤية وليس له سماع إلا من الصحابة (التقريب ٢-١٩٥) وحفيده تابعي صغير وثقة من رجال الشيخين (١-٤٠٥ التقريب) وله شاهد عن الزهري عند البيهقي (٢-٥٢٢).

(٣) المتكلم هو سلمة بن سلام.

قال: نعم.. والذي يحلف به، (لوددت أن حظي من تلك النار أن توقدوا أعظم تتور في داركم فتحمونه، ثم تقدفوني فيه ثم تطينون علي، وأني أنجو من النار غداً<sup>(١)</sup>)<sup>(٢)</sup>.

قالوا: ويحك يا فلان فما آية ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد. وأشار بيده إلى نحو مكة واليمن. قالوا: متى تراه؟

فنظر إليّ وأنا أحدثهم سناً، فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه.

قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا<sup>(٣)</sup>، فأمنّا به وكفر به بغياً وحسداً. فقلنا: ويحك يا فلان، ألسنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى ولكن ليس به (وكان يقال له يوشع)<sup>(٤)</sup>.

وطفل آخر اسمه (محمد بن سلمة) يروي حجم الكراهية اليهودية للآخرين، ورفض الحق إن لم يكن مصدره من بني إسرائيل فيقول: (لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودي واحد يقال له «يوشع» فسمعته - وإني لغلام في إزار يقول: قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت. ثم أشار بيده إلى «بيت الله» فمن أدركه فليصدقه، فبعث رسول الله ﷺ فأسلمنا، وهو بين أظهرنا لم يسلم حسداً وبغياً)<sup>(٥)</sup> ولم يقتصر اليهود على ذلك، بل أنكروا أن يكون هو النبي المنتظر. قاموا بطمس أسمائه المكتوبة في التوراة، لكن بقيت كلمات حتى اليوم لا تنطبق إلا على محمد عليه السلام، مثل هذه العبارة الموجودة الآن في التوراة المحرفة والتي تقول: (وحي يأتي من بلاد العرب، في الوعر في بلاد العرب، قابلوا الهارب بخبزه، فهو قد هرب من السيوف والأقواس وشدة الاضطهاد. ويقول الرب أنه خلال سنة سوف يتحطم مجد عدنان جد العرب، وسوف يتلاشى بقية أبطال أبناء عدنان)<sup>(٦)</sup>.

(١) أي من شدة نار جهنم أعادنا الله منها يتمنى أن يوضع في أعظم فرن في الدنيا ثم يطبق عليه ويحرق فيه أهون عليه من دخول نار جهنم.

(٢) ما بين المعقوفين لفظ البيهقي.

(٣) أي أن هذا اليهودي حي يرزق عند دخول رسول الله ﷺ المدينة.

(٤) سنده صحيح. رواه ابن إسحاق ومن طريقه البيهقي (٢-٧٨) حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن سلمة: صالح تابعي ثقة التقريب ٢٧١ ويشهد له ما بعده.

(٥) ذكره ابن كثير في سيرته (١-٢٩٢) فقال: وروى أبو نعيم في الدلائل عن عاصم ابن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن محمد بن سلمة.. وهذا السند صحيح، ويشهد له ما قبله.

(٦) ص ٨٧٥ وانظر (محمد في الكتاب المقدس - ٢٣).

ظن اليهود أن هذا النبي القادم من أرض العرب الوعرة الشديدة الوعورة -وهي مكة -.. ظنوا أنه سوف يفني أبناء عدنان، وهم العرب على أيدي بني إسرائيل، فتهافتوا على جزيرة العرب ليشاركوا في ذلك. ولكنهم صدموا بنقل النبوة من قبيلتهم إلى أحد أبناء قيدار أي عدنان العربي، فحسدوه.

لكن لم يحسدونه؟ السبب موجود في هذه القصة

### قصة إبراهيم وأبنائه

كان لإبراهيم ﷺ ولدان .. إسماعيل، وإسحاق، وإسماعيل هو الأكبر، وهما نبيان عليهما الصلاة والسلام. إسماعيل هو جد العرب، وإسحاق هو والد يعقوب جد اليهود، وليعقوب ﷺ اسم آخر هو (إسرائيل).

رزق يعقوب أو إسرائيل باثني عشر ولداً .. أحدهم نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام، وعندما صار يوسف عليه الصلاة والسلام وزيراً عند عزيز مصر انتقل والده وإخوته إلى هناك، فيوسف وإخوته هم أبناء إسرائيل، حيث تزوجوا، وتكاثروا، وتحول أحفادهم إلى اثني عشرة عائلة (قبيلة)، وتزايدت أعدادهم في مصر، حتى جاء زمن الطاغية فرعون. في تلك الأثناء ولد نبي اسمه (موسى) وأخوه (هارون) عليهما الصلاة والسلام، وقد بعثه الله نبياً بالتوحيد لإنقاذ بني إسرائيل من الشرك والاضطهاد، ثم تولى القيادة من بعد موته في سينا تلميذه النبي: يوشع عليه الصلاة والسلام. ثم جاء أنبياء كثيرون من أبناء إسرائيل من بينهم داود، وابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام، حتى جاء الزمن الذي بعث فيه عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو أيضاً من أبناء إسرائيل.

كل هؤلاء الأنبياء أرسلوا لإعادة قومهم إلى التوحيد، وترك الشرك والبدع والانحراف، ومع ذلك استمر انحراف أغلب اليهود - بني إسرائيل - حتى وصل بهم الإجماع الأمر إلى اغتيال وذبح بعض الأنبياء، كما حدث لنبي الله زكريا وابنه يحيى الذي هو ابن خالة عيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام. بل حاولوا اغتيال عيسى، ولما رفعه الله تعقبا أتباعه بالقتل والتشريد، وكان من أشرس اليهود الذين فتنوا بأتباع عيسى ﷺ رجل اسمه «شاءول»<sup>(١)</sup> هذا الطاغوت أحس بأن الاضطهاد لا يفني

(١) واسمه الذي يشتهر به عند النصارى وفي الإنجيل المحرف هو: القديس (بولس أو بول).

الأديان، ولا يفني أتباعها، بل يزيدهم رسوخاً وثباتاً وتصفية. لذلك بحث هو وأشار اليهود عن طريقة للقضاء على تعاليم الله لعيسى بن مريم، فاكتشف أن محاربة الدين من الداخل أجدى من محاربتة من الخارج، فأظهر لأتباع عيسى بن مريم أنه قد تاب وندم على ما قام به من قتل وتعذيب، وأظهر لهم الرهينة والتسك، وبعد أن تأكد من اقتناع من حوله بتوبته، وبعد مرور زمن على ذلك بدأ بتنفيذ مخططه اليهودي الخبيث. فقد ادعى أنه رأى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في البرق بين السحاب، وأنه قد منحه حق النبوة، ثم جاء بالطامة الكبرى بعد مدة، فادعى أن عيسى بن مريم ظهر له مرة أخرى وأخبره بأنه ابن الله. ثم تحول إلى تعاليم عيسى ليفسدها، فنسخ كثيراً منها: كالتحتم والطلاق وأكل لحم الخنزير، وغير عطلة السبت لتكون يوم الأحد، وأدخل الوثنية إلى تعاليم نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام فأفسدها إلى اليوم. لذا فلا يمكن اليوم رؤية مسيحي واحد بقي على تعاليم المسيح حتى البابا نفسه<sup>(١)</sup>.

فإذا كان اليهود قد فعلوا كل هذا وأكثر مع أنبياء من اليهود أنفسهم.. من إختوتهم، فهل يُتوقع أن يستقبلوا محمداً ﷺ بالأحضان والقلوب المبتسمة وهو ليس من أبناء اليهود؟

الإجابة معروفة. فاليهود ينتظرون نبياً منهم ليسحقوا به العرب وسائر الأمم، لا ليهدوا به العرب. فكيف يؤمنون بنبي قد يجعل من هؤلاء العرب سادة الدنيا وقادة العالم. حسدُ بني إسرائيل يقول: لا، وألف لا. لكن عالماً من يهود يقول عكس ذلك.

## عبد الله بن سلام لا يقول: لا

رجل من بني إسرائيل.. من اليهود.. عالم، ومتقف كبقية علماء اليهود، لكن صدره أبيض كالثلج.. واسع كالمدى.. متلهف للحقيقة كالضياء كالعطش. عالم اسمه عبد الله بن سلام.. صادق اسمه عبد الله ابن سلام. كان يحدث من حوله فيقول: (لما أن قدم رسول الله ﷺ المدينة وانجفل<sup>(٢)</sup>) الناس قبله فقالوا: قدم رسول الله ﷺ. فجئت في

(١) ينفي أحد الكتاب المسيحيين أن يكون البابا يسير على خطى المسيح، فالمسيح متواضع يلبس ثياباً بسيطة ورثة، ويعيش مع الفقراء، بينما يلبس البابا الحرير والذهب ويسكن في قصر فيه أكثر من ثلاثة آلاف غرفة، قد تم تبليطه بأغلى أنواع الرخام، بل كان بعض الباباوات يحمل حملاً.

(٢) انطلق الناس نحو رسول الله ﷺ.

الناس لأنظر في وجهه، فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته منه أن قال:

يا أيها الناس: أطمعوا الطعام، وأفشوا السلام، وصلُّوا الأرحام، وصلُّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام<sup>(١)</sup>.

كلمات قليلة تذوب فيها كل نظريات العدل والمساواة والإصلاح التي ينادي بها البشر. أي مجتمع سيولد في المدينة! مجتمع تفتشو بين أهله التحايا والهدايا والسلام.. مجتمع يمد يديه للمحتاج، ويشق الطرقات بين الأقارب والأرحام، وعندما يهدأ النهار ويدلف إلى خبائه، وتسكن الطيور في الأوكار.. تحلق أرواح مؤمنة إلى ربها تتاجي، وتخاف وترجو بدموعها رحمة الرحيم.

إنه لم يطالب بشيء لنفسه حتى الآن.. إنه يطالب بأن يكون الإنسان بكليته لله، ثم يطالب هذا الإنسان رحمة لأخيه الإنسان.

أيقن ابن سلام أن هذا الرجل ليس بكذاب، ولا يأتي كذاب بمثل هذا الحب والسلام، لكن أين كان ابن سلام عندما قدم رسول الله ﷺ؟

أنس بن مالك ذلك الأنصاري الصغير يحدثنا عن مكانه وأنه كان في نخل لأهله يخترف لهم الرطب، فجاء وأدوات الاختراف بيديه.. نسي أن يتركها من شدة ذهوله. يقول أنس: (قيل في المدينة: جاء نبي الله ﷺ. فاستشرفوا نبي الله ينظرون إليه، ويقولون: جاء نبي الله. فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب، فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم، فعجل أن يضع الذي يخترف فيها، فجاء وهي معه، وسمع من نبي الله ﷺ ورجع إلى أهله.

وقال نبي الله ﷺ: أي بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري، وهذا بابي. قال ﷺ: «انطلق فهيناً لنا مقيلاً»، فذهب فهياً، ثم جاء فقال: يا رسول الله ﷺ قد هيأت مقيلاً، قوما على بركة الله فقيلاً<sup>(٢)</sup>.

(١) سننده صحيح. رواه البيهقي ٢-٥٣١ وغيره من طرق عن عوف بن أبي جميلة وهو ثقة عن زرارة بن أبي أوفى تابعي ثقة عابد التقريب ٤٣٣ و٢١٥.

(٢) حديث صحيح. رواه البخاري (٣٩١١) والبيهقي واللفظ له (٥٢٨/٢).

إذا فقد عاد عبد الله بن سلام إلى حائط أهله بعد أن رأى وسمع. فمتى أسلم وكيف أسلم؟

يكمل أنس قصته فيقول: (فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك نبي الله حقاً، وأنت جئت بحق، ولقد علمت يهود أني سيدهم، وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم... فادعهم فسلهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت، قالوا في ما ليس فيي).

فأرسل نبي الله ﷺ إليهم، فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأنني جئت بحق، أسلموا» فقالوا: ما نعلمه<sup>(١)</sup>. ترى هل أسلم هذا العالم المثقف لمجرد رؤيته رسول الله ﷺ دون استفسار.. دون سؤال، أو حصول على علامة وبيان؟ هذا ما لا يفعله عادة المثقفون والعلماء، وعبد الله بن سلام منهم، فهو لم يسلم مباشرة. فبعد أن (سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض... فأتى النبي ﷺ، فقال: إني أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة<sup>(٢)</sup>؟

وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟

وما ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمه؟

قال ﷺ: «أخبرني بهن جبريل آنفاً».. قال ابن سلام: جبريل! قال ﷺ: «نعم».. قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

ثم قرأ ﷺ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾. أما أول أشراط الساعة: فنار تخرج على الناس من المشرق إلى المغرب.

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت.

وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماء المرأة نزع الولد.

(١) حديث صحيح. رواه البخاري (٢٩١١) والبيهقي واللفظ له (٥٢٨/٢).

(٢) علامات الساعة، وعلامات الساعة كثيرة... منها بعثة رسول الله ﷺ لكن لها علامات كبرى عجيبة مفاجئة للعالم هذه أولها ومنها خروج اليهودي المسيح الدجال ونزول المسيح عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من جهة المغرب...

قال ابن سلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله. يا رسول الله إن اليهود قوم بهت<sup>(١)</sup>، وإنهم إن تعلموا بإسلامي قبل أن تسلمهم عني بهتوني.

فجاءت اليهود إليه، قال ﷺ: «أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا.

قال ﷺ: «أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟» قالوا: أعاده الله من ذلك.

فخرج عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا.. وتتقصوه<sup>(٢)</sup>. قال ابن سلام: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله<sup>(٣)</sup>.

هذا هو الفرق بين اليهود والنصارى، بل وغير النصارى غالباً، فالنصارى ضحايا اليهود فسامهم الله (الضالين)، أما اليهود فهم يعرفون الحق ويتركونه، ولذلك وصفهم الله ب: (المغضوب عليهم) والتاريخ يحدثنا عن اليهود كثيراً، وعن رفضهم وقتلهم الأنبياء والمصلحين، بل إنهم سبب ضلال النصارى<sup>(٤)</sup> وبعدهم عن الحق، فلا غرابة ولا عجب أن رفضوا رسالة الإسلام، وغبي كل الغباء من يظن أنهم غير ذلك، والتاريخ شاهد والواقع على طرفاتنا يتلو علينا كل صباح مؤامراتهم.

فلننصرف عنهم كما انصرفوا عن رسول الله ﷺ، ولندخل مع رسول الله ﷺ إلى دار أبي أيوب، الذي أصبح مقراً مؤقتاً لرسول الله ﷺ ريثما يجد له منزلاً مستقلاً.. له ولزوجته القادمة سودة رضي الله عنها.

فتحنا الباب فوجدنا أبا أيوب رجلاً من كرم.. رجلاً من شعور.. مهذب وحساس، ومحب لله ولرسول الله ﷺ وللإسلام أكثر من نفسه.. كان صدره أفسح من بيته، وكانت يداه غيمتين.

جدران بيت أبي أيوب تحكي لنا هذه القصة.. تروي لنا كم كان أبو أيوب مسلماً.. كم كان عظيماً..

(١) أقوام يفترون ويكذبون ويلصقون في المرء ما ليس فيه.

(٢) عابوه.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري والبيهقي واللفظ له ٥٢٩-٢.

(٤) كما مر معنا في قصة بولس أو شاءول.

يقول أبو أيوب: (لما نزل عليّ رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السفلى، وأنا وأم أيوب في العلو. فقلت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني أكره وأُعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاطهر أنت فكن في العلو، وننزل نحن فنكون في السفلى).

فقال ﷺ: «يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن أكون في سفلى البيت». فكان رسول الله ﷺ في سفله، وكنا فوقه في المسكن، فلقد انكسر حب<sup>(١)</sup> لنا فيه ماء، فقمتم أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها، ننشف بها الماء خوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه.

وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث إليه، فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده<sup>(٢)</sup> فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلاً أو ثوماً، فردده رسول الله ﷺ، فلم أر ليده فيه أثراً. فجئته فزعاً، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك؟

فقال ﷺ: «إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي، فأما أنتم فكلوه. فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة»<sup>(٣)</sup>.

وما دام ﷺ يكره رائحتها فأبو أيوب يكرها كذلك، لقد قال لرسول الله ﷺ (فإني أكره ما تكره)<sup>(٤)</sup> ومع ذلك لم تسكن نفس أبي أيوب.. لم يجد للراحة مكاناً، ولم يجد للراحة طعماً رغم شدة فرحه برسول الله ﷺ داخل بيته.. لماذا؟ لماذا؟

## أبو أيوب مخرج

لو رأيته وهو يسير في منزله لأشفقت عليه، فهو لا يتحرك إلا في مساحة ضيقة من بيته.. كأن الجن والأشباح تنزل في البقية الباقية. لقد حدد له زاوية من المنزل

(١) وعاء يوضع فيه الماء كالزير والجرة.

(٢) أي يحثوا عن مواضع أصابعه وقصدوها.

(٣) إسناده صحيح. رواه ابن إسحاق سماعاً من شيخه يزيد بن أبي حبيب، عن مرثد بن عبد الله اليزني، عن أبي رهم السماعي حدثني أبو أيوب، وي زيد ومرثد فقيهان ثقتان وأبو رهم هو الصحابي كلثوم بن الحصين رضي الله عنه. انظر سيرة ابن كثير ٢-٢٧٧.

(٤) حديث صحيح. رواه مسلم والبيهقي ٢-٥٠٩.

يتحرك فيها وينتقل وينام، أما البقية الباقية فلا.. ذلك لأن الإسلام صنع منه قلباً وحساً مرهفاً، فهو لا يريد أن يمشي فوق رأس رسول الله ﷺ.

(انتبه أبو أيوب فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ!!)

فتتحوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ يعني في ذلك؟

فقال ﷺ: "السفل أرفق بنا". فقال أبو أيوب: لا أعلو سقيفة أنت تحتها. فتحول رسول الله ﷺ في العلو، وأبو أيوب في السفلى<sup>(١)</sup>.

لن تستغرب الدنيا ما قام به أبو أيوب رضي الله عنه، فهو ابن سحابة هتون تحوم في سماء الإيثار والكرم.. ابن سحابة اسمها الأنصار.. الأنصار الذين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

هذه شهادة الله لهم تنتزل عليهم من فوق العرش.. تعبر السماوات سماءً سماءً.. يتغنى بها الأنصار.. يتغنى بها بنو النجار أحوال رسول الله ﷺ. وأبو أيوب من الأنصار، وأبو أيوب من بني النجار، ولأن كانت (خير دور الأنصار بني النجار)<sup>(٣)</sup> فإن (في كل دور الأنصار خير)<sup>(٤)</sup>. قاله جعل (آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار)<sup>(٥)</sup>. ف (لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله)<sup>(٦)</sup>.

الأنصار الآن يتوافدون.. يتتابعون نحو رسول الله ﷺ.. يسلمون.. يثلجون صدورهم بالقرب من حبيهم.. كانوا يحملون الولاء والحب وشيئاً من الطعام.. كلُّ حسب ما يجد، لكن أحد الفقراء المعدمين الذين لا يملكون حتى ثيابهم.. كان على الباب ينتظر، وكانت هيئته رثة تدمي القلب، وتدمع العين، ومع ذلك استطاع بعد جهد وعرق أن يحصل على شيء من طعام، لا ليأكله.. لا ليتصدق به، بل ليهديه.

(١) حديث صحيح. رواه مسلم والبيهقي (٥٠٩/٢).

(٢) سورة الحشر: الآية ٩.

(٣) حديث صحيح. متفق عليه.

(٤) متفق عليه وهو آخر الحديث السابق.

(٥) صحيح. رواه البخاري (٣٧٨٤).

(٦) صحيح. رواه البخاري (٣٧٨٣).